



يفتح قرار الرئيس الأميركي دونالد ترامب بسحب قوات بلاده من سوريا، الذي أعلنه أول من أمس الأربعاء ودافع عنه أمس الخميس، عبر التأكيد أن الولايات المتحدة "لا تريد أن تكون شرطي الشرق الأوسط" وأنه "حان الوقت أخيراً لكي يقاتل الآخرون"، الباب أمام تحولات واسعة في المشهد السوري، عنوانها الأبرز من سيملا الفراغ الأميركي وسط مؤشرات إلى أن المرحلة المقبلة ستشهد سباقاً بين أبرز الأطراف المحلية والإقليمية والدولية الفاعلة في المشهد السوري للهيمنة على أكبر قدر من الترکة الأمريكية.

فقرار الانسحاب، الذي يعد بداية مرحلة جديدة للسياسة الأمريكية في المنطقة، لم يشكل مفاجأة فقط لجميع الأطراف المحلية والإقليمية والدولية، بل حتى لمسؤولي الإدارة الأمريكية نفسها الذين عبر كثير منهم، ومن فيهم أعضاء في الكونغرس، عن دهشتهم من هذا القرار الذي شبّهوه بقرار الرئيس السابق باراك أوباما الانسحاب من العراق نهاية العام 2011، والذي ترك الساحة العراقية مفتوحة أمام صعود تنظيم "داعش" وسيطرته على أجزاء واسعة من العراق.

وعكست المواقف الصادرة عن مختلف الأطراف المعنية بالصراع السوري، أمس الخميس، تباين النظرة للقرار الأميركي، كلّ حسب مصالحه ومخاوفه من انعكاس ذلك على الأرض وعلى مستقبل الصراع في سوريا والحلول المرتقبة. فقد تصاعدت التحذيرات من عواقب الانسحاب الأميركي من الجهات المتضررة منه، لا سيما الأكراد والدول الأوروبية الحليفة لواشنطن وسط تنبؤه من مخاطر "انتعاش" تنظيم داعش. على المقلب الآخر، كانت روسيا أبرز المرحبين بالخطوة الأميركية، نظراً لإدراكها أنها تفسح المجال أمامها للتمدد أكثر في الجغرافية السورية والسعى مع إيران لفرض رؤيتها للحل السياسي خدمة لنظام بشار الأسد. بينما يداً أن الحذر يسيطر على تركيا، المتخوفة من مطالبة أميركية لها بتأخير عمليتها شرق الفرات حتى الانسحاب الأميركي الكامل من سوريا، فيما كانت إسرائيل عبر رئيس حكومتها بنيامين نتنياهو، تت وعد

بمواصلة التحرك "بنشاط قوي ضد مساعي إيران لترسيخ وجودها في سوريا"، مقرة بتداعيات خطيرة للقرار الأميركي  
ستمتد آثاره بالنسبة إليها لسنوات.

ووسط هذا الانقسام في تقييم التطور الأميركي، حاول ترامب أمس الدفاع مجدداً عن قراره قائلاً إن الولايات المتحدة "لا تريد أن تكون شرطي الشرق الأوسط". وقال ترامب في تغريدة "هل تريد الولايات المتحدة أن تكون شرطي الشرق الأوسط؟ وألا تحصل على شيء غير خسارة أرواح غالبة وإنفاقآلاف تريليونات الدولارات لحمايةأشخاص، لا يثمنون في مطلق الأحوال تقريباً ما نقوم به؟ هل نريد أن نبقى هناك إلى الأبد؟ حان الوقت أخيراً لكي يقاتل الآخرون". وأضاف "روسيا وإيران وسوريا والعديد غيرهم ليسوا مسرورين بخروج الولايات المتحدة على الرغم مما تقوله الأخبار الكاذبة، لأن عليهم الآن قتال تنظيم داعش وغيره ممن يكرهونهم، من دوننا". وتابع "أنا أبني أقوى جيش في العالم على الإطلاق. إذا قام تنظيم داعش بضررنا فيكون حكم على نفسه بالهلاك". وكان ترامب قال في تغريدات سابقة إن "الانسحاب من سوريا ليس مفاجأة. أنا أقوم بحملة من أجل هذا الأمر منذ سنوات. وقبل ستة أشهر، عندما أردت أن أفعل ذلك علناً، وافقت على البقاء لمدة أطول".

وفيما لم يتم الإعلان رسمياً عن جدول الانسحاب، في ظل تسريبات عن أنه سيتم في فترة تتراوح بين 60 و100 يوم، لفت أمس ما نقلته وكالة "رويترز" عن مسؤولين أميركيين لم تكشف هويتهم، بأن أمر ترامب سحب القوات الأمريكية يشير أيضاً إلى نهاية الحملة الجوية الأمريكية على تنظيم "داعش".

وأشارت المعطيات إلى أن قرار ترامب تم من دون تنسيق مع المؤسسات العسكرية الأمريكية والشركاء المحليين، أي "قوات سوريا الديمقراطية"، ما جعل الساحة مفتوحة على سيل من التكهنات والتحليلات بشأن دوافع هذا القرار وتداعياته على الأطراف الضالعة في المشهد السوري، خصوصاً أن المنطقة التي تتوارد فيها القوات الأمريكية هي المناطق التي تضم معظم ثروة سوريا النفطية، وتكون موضع صراع بين كل القوى.

فالنظام السوري قد يرى في هذا الانسحاب فرصة لعقد صفقة يستعيد فيها تلك المنطقة من "قوات سوريا الديمقراطية"، وفق شروطه، فيما ترى فيها فصائل المعارضة فرصة للسيطرة على مناطق شمال شرق سوريا بدعم تركي. أما على صعيد القوى الإقليمية، فيشكل قرار الانسحاب فرصة لإيران لاستكمال مخططها بربط طهران ببيروت عبر سوريا والعراق والذي كان يشكل الوجود الأميركي عائقاً أمامه.

ويحيل هذا القرار إلى إعادة قراءة الموقف الأميركي إزاء سوريا منذ أعلن ترامب قبل أشهر عزمه على سحب القوات الأمريكية من سوريا، قبل أن يضغط بعض حلفائه ومستشاريه وإقناعه بعدم تحديد جدول زمني لذلك، لأن الحرب مع تنظيم "داعش" ما زالت مستمرة. تلا ذلك زيادة في الانخراط الأميركي في سوريا، فجرى توسيع القواعد العسكرية الأمريكية وزيادة عددها. كما زادت واشنطن من وتيرة تسلیح وتدريب "قوات سوريا الديمقراطية"، وأعلنت أنها تعمل على تشكيل قوات حدود إضافية يتراوح حجمها بين 35 و40 ألف عنصر من القوات المحلية، وعملت على إقناع دول خليجية حلية بزيادة التمويل والمساهمة في عملية الاستقرار في المناطق المستعادة من تنظيم "داعش".

غير أن دلالات الانسحاب، كما يرى مراقبون، لا تتعلق بحجم القوات الأمريكية في سوريا، وهو غير كبير، لكن بالرسائل السياسية التي يحملها حلفاء أميركا قبل خصومها، وفي مقدمتهم الأكراد الذين اعتبروا هذه الخطوة الأمريكية "طعنة في الظهر"، فضلاً عن الدول الأخرى الحليفه للولايات المتحدة في المنطقة.

وفي بيان لها أمس الخميس، قالت "قوات سوريا الديمقراطية" (قسد)، إن قرار انسحاب القوات الأمريكية من شمالي شرقي سوريا سيخلق فراغاً عسكرياً وسياسياً. وأضاف البيان: "نحتاج دعماً أكبر من التحالف الدولي لمحاربة تنظيم داعش بدلاً من الانسحاب"، مشيراً إلى أن المعركة ضد التنظيم لم تنته بعد. وحضرت هذه القوات من أن قرار سحب القوات الأمريكية "سيؤثر سلباً على حملة مكافحة الإرهاب وسيعطي للإرهاب داعمه ومؤيده زخماً سياسياً وميدانياً وعسكرياً للانتعاش مجدداً والقيام بحملة إرهابية معاكسة في المنطقة". في المقابل، قالت المتحدثة باسم "قسد" جيهان أحمد "إننا لا نعتمد بالأساس على أي جهة وإنما على قدراتنا الذاتية". وأضافت في تصريح لوكالة "سيوتنيك" الروسية "سنواجه التهديدات التركية التي تحاول إطالة عمر تنظيم داعش في ريف دير الزور".

من جهته، قال عضو الهيئة السياسية في المجلس الوطني الكردي، فؤاد عليكو، لـ"العربي الجديد"، إن العلاقة القوية بين تركيا والولايات المتحدة، ورفض "قوات سوريا الديمقراطية" المبادرات المطروحة، هو سبب إعلان ترامب سحب قوات بلاده من سوريا. ورأى عليكو أن العلاقة بين واشنطن و"قسد" كانت "مؤقتة وعبارة، إلا أن الأخيرة لم تقدر ذلك، على عكس العلاقة مع الحليف القوي وال دائم تركيا". وأضاف أن رفض "قسد" للمقترح الأميركي بنشر قوات العشائر والبشمركة أدى أيضاً إلى جنوح واشنطن إلى الحليف التركي، لذلك جاء قرار سحب القوات من سوريا. ورأى أن القرار الأميركي سيطبق، لكن تنفيذه سيبدأ من المناطق الحدودية أولاً لإفساح المجال لتركيا بتنفيذ عمل عسكري انطلاقاً من حدودها الجنوبية.

ولا يُعرف حتى الآن، وفق مسؤولين أمريكيين كيفية التعامل مع الانسحاب من الناحية العملية، وهل سيقوم الجيش الأميركي باستعادة آلاف الأسلحة التي قام بتوزيعها على القوات الكردية وغير الكردية، وما إذا كان من الممكن سحب المعدات العسكرية الأمريكية المنتشرة في الكثير من القواعد العسكرية في سوريا أو يجب تدميرها في الموقع. وماذا يجب على الولايات المتحدة أن تفعل بالمقاتلين الأكراد والتحالف الدولي الذي يضم 79 دولة بهدف القضاء على "داعش".

أما "جيش مغاوير الثورة"، المحسوب على المعارضة والمدعوم أميركياً والموجود في منطقة التنف جنوب شرق سوريا، فقد اعتبر قرار الانسحاب الأميركي سلبياً وسيئاً بالنسبة له، بحسب قائد اللواء العقيد مهند الطلاع، الذي أوضح في تصريح لـ"العربي الجديد" أن توقيت القرار غير صحيح. وأضاف: "نحن نعلم أن الوجود الأميركي لن يدوم، ولكن عملية الانسحاب قبل إتمام الحل السياسي في سوريا ستؤدي إلى نتائج سلبية". أما المتحدث باسم "مغاوير الثورة" أحمد خضر المحيى، فأوضح لـ"العربي الجديد" أن الفحصيل أبلغ بالقرار، "ولكنه قرار أخذ من القيادة العليا في الولايات المتحدة وهو بحاجة إلى وقت لصدور إجراءات تنفيذية لتطبيقه حسب التسلسل القيادي". وأضاف أنه "حتى الآن لم يتم تطبيق شيء على أرض الواقع، ولا توجد معلومات حول متى وكيف سيتم الانسحاب، وحينها يمكن تحديد مدى تأثير هذا القرار".

القرار الأميركي لاقى أيضاً قلقاً في صفوف الدول الأوروبية الحليفة لواشنطن. فقد أعلنت وزارة الخارجية الفرنسية في بيان "أننا نجري وشركاؤنا في التحالف الدولي محادثات مع واشنطن بشأن توقيت وكيفية تنفيذ قرار الانسحاب الأميركي". وأضافت "ستحرص فرنسا خلال الأسبوع المقبل على ضمان أمن جميع شركاء الولايات المتحدة، ومن فيهم قوات سوريا الديمقراطية. وعلى الولايات المتحدة أن تأخذ في الحسبان حماية السكان في شمال سوريا واستقرار المنطقة لتجنب مأساة إنسانية جديدة وعودة الإرهابيين". كما أكدت الوزيرة الفرنسية للشؤون الأوروبية ناتالي لوازو، أمس، أن "فرنسا "تبقي"

ملزمة عسكرياً في سوريا". وفي لندن اعتبرت وزارة الخارجية البريطانية أن تنظيم "داعش" لم يُهزم بعد في سوريا. وأضافت أن المملكة المتحدة ستبقى "منخرطة في التحالف الدولي وحملته لحرمان داعش من (السيطرة) على أراضي وضمان هزيمته القاطعة". من جهتها، اعتبرت برلين أن القرار الأميركي يمكن أن يضر بالمعركة ضد تنظيم "داعش" و"يهدد النجاح الذي سُجل حتى الآن"، بحسب وزير الخارجية الألماني هيكو ماس.

في مقابل خيبة أمل هذه الأطراف من خطوة واشنطن، بدا واضحاً أن الطرف المبتهج أكثر من غيره بالقرار الأميركي هو روسيا، وهو ما أكدته الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، الذي وصف القرار بـ"الصائب"، مشيراً إلى أن موسكو لم تر بعد ما يشير إلى بدء هذا الانسحاب. بوتين خلال لقائه السنوي بالإعلام أمس الخميس، أضاف "بالنسبة للانتصار على تنظيم داعش بشكل عام أنا أتفق مع الرئيس الأميركي"، متابعاً "لقد سددنا ضربات قوية لتنظيم داعش في سوريا". إلا أنه شك في تصرفات واشنطن، وقال "لم نر أي مؤشرات على سحب القوات الأمريكية بعد، ولكنني أقر بأن ذلك ممكن".

وتعليقاً على هذه التطورات، قال المحلل السياسي شادي عبدالله، في حديث لـ"العربي الجديد"، إن الانسحاب الأميركي سيترك الساحة عملياً لقوتين رئيسيتين، هما روسيا ومعسكرها، أي إيران والنظام من جهة، وتركيا من جهة أخرى. وأوضح أن لتركيا أهدافاً محددة تتعلق أساساً بانتشار المقاتلين الأكراد على حدودها، بينما تدعم روسيا النظام في السيطرة على كامل الأراضي السورية، في حين أن لإيران أهدافاً إضافية تمثل في بناء قواعد وممرات استراتيجية تعزز نفوذها في سوريا وإلى حدود المتوسط.

ورأى عبدالله أن "المشروع الإيراني في سوريا تعرض لانتكاسات في الأشهر الأخيرة بسبب الضربات الإسرائيلية المتواتلة، وبسبب "حائط الصد" الذي شكله الوجود العسكري الأميركي في شرق سوريا، ومع انزياح هذا الحائط لا شك أن إيران ستحاول التقدم لملء الفراغ، ولتنبيت نفسها في تلك المنطقة بالتنسيق مع قوات النظام السوري من جهة، وميليشيا الحشد على الطرف العراقي من الحدود، من جهة أخرى". أما النظام السوري الذي لم يعلق رسمياً حتى الآن على القرار الأميركي، فهو كما روسيا، لم ينك يطالب في الفترات الماضية بانسحاب هذه القوات التي يعتبرها في خطاباته الرسمية كقوات احتلال.

ولفت عبدالله إلى أن النظام قد يحاول في المرحلة المقبلة، بدعم روسي-إيراني، التمدد انطلاقاً من المناطق التي يسيطر عليها باتجاه الجنوب إلى قاعدة التنف إذا ما انسحب الأميركيون منها، وباتجاه حقول النفط التي تسسيطر عليها حالياً قوات "قسد"، وقد يكون ذلك بالاتفاق مع الأخيرة التي ستحاول أن تضع النظام في مواجهة الأتراك حتى لا تبقى هي وحدها في الواجهة.

وعلى الرغم من أن القوات الأمريكية في سوريا لم تكن مكلفة بالدفاع عن المسؤولين الأميركيين أو منظمات المساعدات الإنسانية هناك، فقد كان وجودهم يعتبر ضمانة ضد الهجمات من مختلف الجهات. وقالت منظمة ميرسي كوربس، وهي منظمة مساعدات دولية تقدم مساعدات للمدنيين في شرق سوريا، إنها قد تحضر إلى إعادة النظر في عملياتها هناك.

المصادر:

العربي الجديد